

# الاختلاف والاختلاف أسسه وروابطه

بقلم الدكتور  
صالح بن عبد العزيز آل سعود  
أستاذ الدراسات العليا  
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - قسم الفقه

دار بلنسية للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

السدلان ، صالح بن غانم .

الاتلاف والإختلاف أسسه وضوابطه ط ٢ - الرياض .

٩٦ ص ، ١٢ × ١٧ سم

ردمك ٩٩٦٠-٧٤٣-٣٦٥

١ - الوعظ والارشاد ٢ - الإسلام - مبادئ عامه أ - العنوان

١٦/٠٧١٨

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع ١٦/٠٧١٨

ردمك : ٩٩٦٠-٧٤٣-٣٦٥

## المقدمة

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوةً، ونعمت الأخوة في الإيمان، وألَّف بين قلوبهم، وصيَّرهم بعد الفرقة كالبنيان المرصوص، نحمده تعالى؛ جعلنا خير أمة أُخرجت للناس وفضلنا على سائر الأجناس، ونشكره؛ شرح صدور عباده المؤمنين بالآيات المحكمات، وثبَّت دعاة الحق بالبراهين الواضحات. ونور قلوبهم بالعصمة والتوفيق عن اتباع الشهوات.

ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله الداعي إلى سبيل ربه بخير موعظة وأبلغ حكمة، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن اتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات

والمناهج من أوضح شرائع الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين. وهو الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة. ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، وسرّ قوتها ومنبع عزتها.

وأهمُّ ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم - بعد توحيد الله - عزوجل - جمعُ الكلمة ولمَّ الشعث وتسوية الصفوف وقد جاء الخطاب الإلهي مقرّراً لذلك؛ فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي، وإنما تناول الجماعة المسلمة كلها بالتأديب والإرشاد.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا  
وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴿٧٨﴾ [سورة

الحج، الآية: ٧٧، ٧٨].

لئن كانت كلمة التوحيد هي باب الإسلام، ودعامته فثمرتها توحيد الكلمة وامتنال الأوامر

واجتناب النواهي طاعةً لله وانقياداً لأمره ورغبةً فيما عنده. قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ الْقِيَمَةِ ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥].

نعم: لقد أمر الله تعالى أهل هذه الملة بالتجمع على الحق، وحذرهم من التفرق والاختلاف كما حدث للأمم السابقة قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥].

يقول ابن كثير رحمه الله: «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة...، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعهُ واحدٌ لا اختلاف فيه ولا افتراق».

فمن اختلف فيه ضلَّ وأضلَّ عن سبيل الله

وصراطه المستقيم ولَبَسَ عليه الشيطان أمر دينه  
وتجارت به الأهواء وتجاذبتة الاختلافات .

وقد حذرنا ربنا تعالى من السقوط في علل أهل  
الأديان السابقة وقصَّ علينا تاريخهم للعبرة والحذر  
فقال: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا  
شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [سورة الروم، الآية:  
٣١-٣٢]. وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ  
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩]. وقال: ﴿ وَإِنَّ  
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ [سورة البقرة،  
الآية: ١٧٦].

فالإختلاف الذي يسبب الافتراق والتمزق؛ يُعَدُّ  
ابتعاداً عن هدي النبوة ومنع الرسالة ودين الحق .  
وعلى هذا: فمن اختلف فيه، «وكانوا شيعاً» أي  
فِرَقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن  
الله - تعالى - قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه .

لقد أرشد اللهُ المسلمين - في أكثر من آية من القرآن الكريم إلى أن يتآلفوا ويتضامنوا ويتعاونوا وينهجوا الطريق الأمثل ممثلين لأمر الله مقتدين برسوله ﷺ؛ ليكون بناؤهم قوياً وصفوفهم مترابطة وجهودهم مثمرة، ويوم كانوا واعين هذه التوجيهات الحكيمة والإرشادات النافعة بلغوا المجد السامق والعزَّ المكين، ونشروا لواء الإسلام في جميع أرجاء المعمورة. وإن تعجب فعجبٌ لمن فتحوا البلاد وسادوا العباد وقهروا القياصرة والأباطرة وصاروا أقوياء، وفي أقل من نصف قرن من الزمان باتوا يحكمون مشارق الأرض ومغاربها.

بيد أن أمتنا الإسلامية وخاصةً في هذه الأيام العصبية من الزمن قد عانت وماتزال تعاني من ضعف وتمزُّقٍ شديدين جعلها في ذيل ركب الأمم، ومَرَّت بأزماتٍ كثيرةٍ ونكباتٍ متلاحقة كادت تفقد معها أمنها وطمأنيتها إن لم يكن ديارها وأموالها.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٣].

وهذا التفريق الذي حصل من الأمة، علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٤].

«فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب»<sup>(١)</sup>.

(١) الفتاوى ج ٣ ص ٤٢١.



فيوم أن حادوا عن هذا السبيل وركنوا إلى  
 المباديء المدمرة والشعارات الجوفاء المفرقة،  
 والخلافات المشتتة تمزقوا إرباً وتقطعوا شيعاً  
 وذهبت ريحهم وضاق فسيحهم وتحكم فيهم الهوى  
 وتفرقت بهم الأهواء؛ فصاروا مطمعاً لأعدائهم،  
 وهان على أحقر الأمم وأقلها شأنًا أمرهم، وتألبت  
 الفرق والملل والنحل عليهم يغزونهم في عقر دارهم  
 ويقتسمون ثرواتهم ويستخفون بهم. يُغار عليهم ولا  
 يغارون ويضامون ولا يدافعون، ويهانون ولا  
 يستشيطنون وقد كانوا بالأمس أهل العزة القعاء  
 والهمة الشماء والإقدام العظيم. فإننا لله وإنا إليه  
 راجعون!!!

لهذا رأيت أن أكتب في هذه العجالة في  
 موضوع:

الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه

فما أحوجنا نحن المسلمين في هذه الفترة

العصية إلى جمع الشمل ونبذ الفرقة وقمع كل أسباب الصراع وتحويل الطاقات وتضافر الجهود نحو العمل البناء المخلص المؤدي إلى استئناف الحياة الإسلامية - بإذن الله - من جديد.

## معنى الاتئلاف والاختلاف

معنى الاتئلاف: الاتفاق، والتوافق، والتظاهر، وعدم الاختلاف.

قال ابن فارس: أَلَّفَ: الهمزة واللام والفاء أصلٌ واحدٌ يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً. والألفة مصدر الاتئلاف وكل شيء ضمنت بعضه إلى بعض فقد أَلَفَتْهُ تَأْلِيفاً. والتأليف إيقاع الإلف بين شيئين أو أكثر. والإلف والاتئلاف، والألفة اجتماع مع التثام.

معنى الاختلاف: مصدر اختلف. والاختلاف نقيض الاتفاق. واختلف الأمران لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد اختلف. الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله.

## الألفاظ ذات الصلة

**الخلاف:** المضادة، وخالفه إلى الشيء عصاه إليه أو قصده بعد أن نهاه عنه. ويُفَرَّقُ بين الاختلاف والخلاف: بأن الأول يستعمل في قولٍ يُنَى على دليل، والثاني فيما لا دليل عليه. وبأن القول المرجوح في مقابلة الراجح يقال له خلاف لا اختلاف. وحاصله ثبوت الضعف في جانب المخالف في الخلاف، كمخالفة الإجماع وعدم ضعف جانبه في الاختلاف.

**الافتراق والتفرُّق والفرقة:** من المفارقة وهي المباينة والمفاصلة والانقطاع والافتراق والانشعاب والشذوذ، والخروج عن الأصل، والخروج عن الجادة والخروج عن الجماعة.

والفرق بين الاختلاف والافتراق: أنَّ الافتراق أشد

أنواع الاختلاف، بل هو من ثمار الاختلاف إذ قد يصل الاختلاف إلى حد الافتراق وقد لا يصل فالافتراق اختلاف وزيادة.

وبناءً عليه فكل افتراقٍ اختلاف، وليس كل اختلافٍ افتراق، فكثيرٌ من المسائل التي يُتنازع فيها هي من المسائل الخلافية ولا يجوز الحكم على المخالف فيها بالكفر، ولا المفارقة، ولا الخروج من السنة. ثم إنَّ الافتراق لا يكون إلا على ما ثبت بنصٍّ قاطعٍ أو بإجماعٍ حقيقي، أما الاختلاف فيسوغ فيما دون ذلك مما يقبل التعدد في الرأي ويقبل الاجتهاد أو يحتمل الجهل أو الإكراه أو التأول، وذلك في أمور الاجتهاديات.

الشقاق: يكون بمعنى الاختلاف كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٥] أي اختلافاً بينهما. وكذلك في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [سورة ص، الآية: ٢] أي

اختلاف.

التنازع: الاختلاف والتخاصم. يقال تنازع القوم أي تخاصموا واختلفوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة النفال: الآية:

.[٤٦]

## حض الإسلام على الوحدة والجماعة والائتلاف ونهيه عن التفرق والاختلاف

وردت آيات كثيرة وأحاديث عديدة، وآثار وفيرة تدم الخلاف وتنهى عنه وتحذر من مخاطره وتأمّر بالاتفاق والاجتماع والائتلاف.

قال تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ الآية [سورة

آل عمران، الآية: ١٠٣].

والاعتصام بحبل الله يتضمن الاجتماع على الحق، والتعاون على البر والتقوى والتناصر على أعداء الله، وأعداء المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ولا تفرقوا﴾ قال ابن جرير: يعني أن لا تفرقوا

عن دين الله وعهده إليكم. . في كتابه من الائتلاف

والاجتماع على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والانتهاج إلى أمره. روي عن قتادة قال: «إن الله تعالى كره لكم الفرقة وقدّم إليكم فيها وحذّر كُموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم ما استطعتم ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وقال تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

إنه الرباط المتين الذي يربط بين المؤمنين بدين الله الواحد السائرين على شرعه الثابت، وانتفاء الخلاف والشقاق والشعور بالقربى والوثيقة التي تدعو إلى التعاون والتفاهم ووصل الحاضر بالماضي



والماضي بالحاضر والسير جملة في الطريق . . . إذن ففيم الاختلاف والتشاحن والتقاتل والتباغض، والوصية الواحدة الصادرة للجميع ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ فيقيموا الدين ويقوموا بتكاليفه ولا ينحرفوا عنه ولا يلتووا به ويقفوا تحت رايته صفاً، وهي راية واحدة رفعا على التوالي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى حتى انتهت إلى محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢١٣].

وقال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٦].

فالإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى المنزل على أنبيائه ورسله يقتضي الوحدة والاتفاق، أما ترك الاهتداء به فإنه يورث الاختلاف والشقاق؛ ذلك أن أهل الكتاب لم يؤتوا من قلة علم وضآلة معرفة، وإنما كان هلاكهم لأنهم وظفوا ما عندهم من علوم ومعارف للبغي بينهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩].

وإني لمتسائل: هل ورثنا علل أهل الكتاب بدل أن نرث الكتاب؟ وهل ورثنا البغي والاختلاف وتفريق الدين بدل أن نرث العلم والمعرفة ونلتزم بأخلاقها؟ قد يكون نصيبنا من العلم والمعرفة ليس بالقليل؛ لكننا اكتسبنا المعرفة وافتقدنا خُلُقَهَا، وامتلكنا

الوسيلة وضيعنا الهدف والغاية، وما أكثر ما فوتت علينا خلافتنا حول مندوب أو مباح أمراً مفروضاً أو واجباً، لقد أتقنا فن الاختلاف، وافتقدنا آدابه! فكان أن سقطنا فريسة التآكل والتنازع الذي أورثنا التناحر فيما بيننا، فإننا لله وإنا إليه راجعون!!!

وقال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣].

نزلت في غزوة بدر الكبرى وهي أول عِظَةِ للمسلمين - بعدما انتصروا في معركة بدر - أن يُوحِّدُوا صفوفهم ويجمعوا أمرهم؛ ذلك أنه لما تطلعت النفوس للغنائم تشتهي حظها وتتنافس على اقتسامها نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية.

ثم أفهمهم أن الاتحاد في العمل لله هو طريق

النصر المحقق والقوة المرهوبة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُكْفَرُوا بِكُمْ تَدْرِكُونَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثم تلقى المسلمون في أحد لطمة موجعة أفقدتهم من رجالهم سبعين بطلاً؛ وردتهم إلى المدينة وهم يعانون الأمرين من خزي الهزيمة وشماتة الكافرين! ولم ذلك؟ مع أن إيمانهم بالله ودفاعهم عن الحق يرشحانهم للفوز المبين، ذلك لأنهم تنازعوا وانقسموا وعصوا أمر الله ورسوله.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢].

ولو تدبر المسلمون أحوالهم في هذه المرحلة العصبية من تاريخهم لأحسوا بأن ما لحقهم من عار يعود إلى انحلال عُراهم وتفرق هواهم، وإرادتهم

للدنيا، وذلك رأس البلاء .

إنه يكفي لمعرفة أضرار الاختلاف وخطورته أن نبي الله هارون - عليه السلام - عَدَّ الاختلاف أكبر خطراً وأشد ضرراً من عبادة الأوثان، فحين صنع السامري لقومه عجلاً من الذهب وقال لهم: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ [سورة طه، الآية: ٨٨] التزم هارون جانب الصمت وبقي ينتظر أخاه موسى عليه السلام، ولما وصل موسى ورأى القوم عاكفين على العجل وَجَّه أَشَدَّ اللوم إلى أخيه، فما كان عذر أخيه إلا أن قال: ﴿ قَالَ يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [سورة طه، الآية: ٩٤].

فجعل من خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذراً له في عدم التشديد في الإنكار، ومقاومة القوم والانفصال عنهم حين لا ينفع الإنكار. وهذا قليلٌ من كثيرٍ من الآيات الكريمة التي تَدُمُّ

الاختلاف والتفرق، وتحذّر منه وتدعو إلى توحيد الصفوف ورأب الصدع ولمّ الشعث، وتقي الأمة الإسلامية غوائل الشقاق.

وقد ذكر تاج الدين السبكي - رحمه الله تعالى -:  
أن الاختلاف المشار إليه في القرآن الكريم اختلافٌ في الأصول وهو بدعة وضلال.

كما لم يجعل ابن حزم - رحمه الله - شيئاً من الاختلاف رحمة بل اعتبره كله عذاباً.

## الأحاديث التي تدم الاختلاف وتحض على الاجتماع والائتلاف

كان رسول الله ﷺ شديد التحذير من عواقب الاعتزال والفرقة، وكان في حِلِّه وترحاله يوصي بالاتحاد والألفة.

والأحاديث التي تدم الاختلاف وتنتهي عنه كثيرة منها:

ما رواه مسلم بسنده عن النبي ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»<sup>(١)</sup>.

وقد رأى في سفره أن القافلة عندما تستريح يتفرق أهلها هنا وهناك كأنما ليس بينهم رباط فكره

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده.

هذا المنظر ونفّر منه .

وعن أبي ثعلبة قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية فقال النبي ﷺ:

«إن تفرقكم هذا من الشيطان. فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم»<sup>(١)</sup> وذلك أثر امتزاج المشاعر وتبادل الحب وانسجام الصفوف .

إن الناس إذا لم يجمعهم الحق شَعَبَهُم الباطل، وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان، وإذا لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا، ولذلك كان التطاحن المُرُّ من خصائص الجاهلية.. الْمُظْلِمَةُ، وديدن من لا إيمان لهم، قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه أبوداود.



«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup> يعني أن هذا العراك الدامي شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم أحزاباً متناحرة.

إن الإسلام حريص على سلامة أمته وحفظ كيانها وهو لذلك يظفيء بقوة بوادر الخلاف ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق ومصايرة السود. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة»<sup>(٢)</sup>.

وللترمذي أيضاً، والحاكم والطبراني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع الله هذه الأمة - أو قال أمتي - على ضلالة، واتبعوا السواد الأعظم فإنه من شدَّ شدَّ في النار».

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

إنك لو غلغلت النظر في كثير من الانقسامات لرأيت حُبَّ الدنيا والأثرة العمياء تكْمُنُ وراء هذه الحزازات... والاتحاد قوة، والشقاق يميت الأمم الضعيفة ويضعف الأمم القوية. والخيط الواهي إذا انضم إليه مثله أضحى حبلاً متيناً يجر الأثقال... عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>.

وهكذا حث الشارع على كل ما يقوي أواصر المحبة بين المؤمنين وما به يتم التعاون على المنافع ونهى عن التفرق والتعادي وتشتيت الكلمة في نصوص كثيرة حتى عُدَّ هذا أصلاً عظيماً من أصول الدين تجب مراعاته واعتباره وترجيحه على غيره والسعي إليه بكل ممكن، وقد شبه النبي ﷺ

(١) متفق عليه.

المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد ولم يكن شيء أبغض إليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الأمور العادية.

عن أبي فرائدة - رضي الله عنه - قال: سمعت عامراً يقول: سمعت النعمان بن بشير يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»<sup>(١)</sup>.

ولن يتم ذلك إلا على أساس من الترابط الذي تقوم به دعائمه على العبودية لله والعمل بشرائعه وولاء المؤمنين بعضهم لبعض على ركيزة ركينة من الحب والوفاء والفهم الموحد والفكر المشترك والتعارف والتكافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصداقاً لقول الله تعالى:

(١) متفق عليه.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
 الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ  
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧١].

## بعض الآثار التي تدم الخلاف وتحضُّ على التآلف والتعاقد

ورد من الآثار في ذم الاختلاف والتحذير عنه ما لا يكاد يحصى كثرة وسأورد منها ما يسره الله تعالى.

\* غضب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما اختلف أبيُّ بن كعب وابن مسعود - رضي الله عنهما - في الصلاة في الثوب الواحد؛ إذ قال أبيُّ: الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل. وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: إنما كان والثياب قليلة. فخرج عمر مغضباً فقال: اختلفت رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن يُنظر إليه ويؤخذ عنه. وقد صدق أبي ولم يأل ابن

مسعود. ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا.

\* كان بعض الصحابة يُكَبِّرُ على الجنائز خمساً وسبعاً وأربعاً فجمعهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على أربع تكبيرات ونهاهم عما سوى ذلك وأصبح هذا إجماعاً لا يسوغ خلافه والخروج عليه.

\* ما ورد عن ابن مسعود أنه استنكر صلاة عثمان - رضي الله عنهما - الظهر أربعاً في الحج ولكنه لم يخالفه وقال: «الخلاف شر والفرقة شر».

\* الجمع على مصحف أبي بكر ثم عثمان.

\* وللبیهقي في سننه عن الزهري قال: «وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية».

نستطيع أن نلمح مما سقناه في هذه العجالة من

الأحاديث والآثار أن رسول الله ﷺ كان يدرك أن بقاء هذه الأمة رهينٌ بتآلف القلوب التي التقت على الحب في الله وأن حثفها في تناحر قلوبها وكان كرام الصحابة - رضوان الله عليهم - يرون أن الخلاف لا يأتي بخير ويحاولون أن لا يختلفوا ما أمكن، فلم يكونوا يكثرون من المسائل والتفريعات بل يعالجون ما يقع من النوازل في ظلال هدي الرسول ﷺ يقر بعضهم بعضاً ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يعتدي ولا يُعتدى عليه. فإذا وقع الاختلاف رغم محاولات تحاشيه سارعوا في رد الأمر المختلف فيه إلى كتاب الله تعالى وإلى هدي رسول الله ﷺ وسرعان ما يرتفع الخلاف، وإن لم يرتفع الخلاف لم يوجب هذا افتراقاً وتنازعاَ بينهم ولم يحرض بعضهم أتباعه على أتباع بعض بل عد هذا الاختلاف من حسناتهم لأن كلاً منهم كان يبحث عن الحق ويعمل بما علم حتى يأتيه مزيد علم.

وهذا سمت واضح في قصة صلاة ابن مسعود خلف عثمان - رضي الله عنهما - وفي صلاتهم - رضي الله عنهم - خلف بعض الأمويين ممن كانوا يقدمون الخطبة على الصلاة في العيد فلم يؤدّ هذا إلى التنازع والتناحر والافتراق والله المستعان .

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - في كلامه عن الاختلاف: «وما كان منها من الاجتهاديات المتنازع فيها التي أقرها الله ورسوله كاجتهاد الصحابة في تأخير العصر عن وقتها يوم قريظة أو فعله في وقتها، فلم يعنف النبي ﷺ واحدة من الطائفتين، وكما قطع بعضهم نخل بني النضير وبعضهم لم يقطع فأقر الله الأمرين، وكما ذكر الله عن داود وسليمان أنهما حكما في الحرث ففهم الحكومة أحدهما، وأثنى على كل واحد منهما بالعلم والحكم به، وكما قال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، فما وسّعه الله ورسوله



وُسَّعَ، وما عفى الله عنه ورسوله عفي عنه، وما اتفق عليه المسلمون من إيجاب، أو تحريم، أو استحباب، أو إباحتها، أو عفو بعضهم لبعض عما أخطأ فيه، وإقرار بعضهم لبعض فيما اجتهدوا به، فهو مما أمر الله به ورسوله، فإن الله ورسوله أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة ودل على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «مجموع الفتاوى» ج ٣/ ٣٤٤.

## اختلاف الأفهام وتوارد الخواطر عند المناقشات والمناظرات أمر فطري لا بد منه

اقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف آراء الناس في صغير الأمور وكبيرها سواءً في أمور الدين أو الدنيا، وسبب ذلك أنهم خلُقوا مختلفين في الفهم والعلم كما قال الله تعالى عن سليمان وداود - عليهما السلام - : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٧٩]، فكان حكمهما مختلفاً لاختلاف فهمهما.

كما خلُقوا مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات وفي الضعف والقوة والصبر على العلم والعمل فاختلف الأفهام واشتجار الآراء ليس

بمستغرب في الحياة فلا ينبغي أن يؤدي إلى اختلاف القلوب لأن اختلاف القلوب حرام وهو خطر يهدد الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».

إن المسلم طالب حق باحث عن الحقيقة ينشد الصواب ويفر من الخطأ يقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»، فقال رجل: يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»..

فإنكار الحق وعدم قبوله أو إخفاؤه وستره من صفات اليهود والنصارى وهو أمر خطير يهدد مصير الإنسان في الآخرة، إذ تنضم إلى اختلاف الآراء عوامل أخرى تستغل تباين الأنظار والأفكار للتنفيس عن أهواء باطنة ومن ثم ينقلب البحث عن الحقيقة إلى ضرب من العناد لا صلة له بالعلم ألبتة.

ولو تجردت النيات للبحث عن الحقيقة وأقبل روادها وهم بعداء عن طلب الغلبة والحسد والسمعة والرياسة لُصِّفَت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والمآسي ولذلك كانت عناية السلف رحمهم الله تعالى منصباً على تخليص النية من الشوائب عند المناقشات والمناظرات.

يقول الغزالي - رحمه الله - في «الإحياء»:

«التعاون على طلب الحق من الدين، والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر، ولكن له شروط وعلامات منها: أن يكون في طلب الحق كَنَاشِدٍ ضَالَّةٍ لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إن أبان له عن خطأه وأظهر له الحق».

فهكذا كانت مشاورات الصحابة - رضي الله عنهم -؛ ففي عصور ازدهار الحضارة الإسلامية لم

يكن الاختلاف في الاجتهاد مبعثاً للفرقة فقد اجتهدوا في سهم المؤلفة قلوبهم، وفي تقسيم الغنائم، وعلى عدم إقامة الحد على السارق في المجاعة والغزو، وفي قتل الجماعة بالواحد.

كما اجتهد التابعون في موضوع التسعير وفي إعطاء بني هاشم من الزكاة، ولم ينكر أحدٌ منهم على من خالف رأيه؛ بل إن امرأةً ردت على عمر - رضي الله عنه - ونبهته إلى الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال: «أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر».

«وسأل رجلٌ علياً - رضي الله عنه - فأجابه، فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال: أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذي علم عليم».

وقد لان الإسلام لاختلاف العقول في الفهم ومنح المخطيء أجرأً والمصيب أجرين ووسع

الجميع في كنفه الرحب، ماداموا مخلصين في طلب الحق حُرَّاصاً على معرفته والعمل به بعدما بذلوا الوسع في تحصيله...

روى البخاري في «صحيحه»: أن النبي ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر».

فأنت ترى أن رحمة الله لا ترتبط بنتائج الفكر قَدَرَ ارتباطها بصلاح القصد... فَلِمَ يضيق ذرع البشر بما وسعه دين الله؟! وَلِمَ القسوة بينهم والجفاء؟!

ألاً ما أفدح خطب الذين يجعلون من الاختلاف ذريعة للتسرع في وصف المخالفين بالخروج أو المفارقة أو المروق من الدين، وما يستتبع ذلك من الاستعجال في الحكم على المخالفين دون رجوع إلى قواعد الشرع وأصول الحكم ومناهج أئمة الدين في ذلك.

قال ابن حزم - رحمه الله - بعد ذكره عدداً من الآيات والأحاديث التي تدم الاختلاف وتنتهى عنه. «فإن قال قائل إن الصحابة قد اختلفوا وأفاضل الناس، أفيلحَقُّهم هذا الذم؟ قيل له - وبالله التوفيق -:

كلاً: ما يلحق هؤلاء شيء من هذا لأن كل امريء منهم تحرى سبيل الله ووجهة الحق، فالمخطيء منهم مأجورٌ أجراً واحداً لنيته الجميلة في إرادة الخير، وقد رُفِعَ عنهم الإثم في خطيئتهم لأنهم لم يتعمدوه ولا قصدوه ولا استهانوا بطلبه، والمصيب منهم مأجورٌ أجريين، وهكذا كلُّ مسلم إلى يوم القيامة فيما خفي عليه من الدين ولم يبلغه، وإنما الذمُّ المذكور والوعيد الموصوف لمن ترك التعلق بحبل الله - تعالى - الذي هو القرآن وكلام النبي ﷺ بعد بلوغ النص إليه وقيام الحجة به عليه، وتعلقَ بفلانٍ وفلانٍ مقلداً عاماً للاختلاف داعياً إلى

عصبيّة وحميّة الجاهلية، قاصداً للفرقة متحرياً في دعواه برد القرآن والسنة إليها. فإن وافقها النص أخذ به وإن خالفها أخذ بجاهليته وترك القرآن وكلام النبي ﷺ فهو لاء هم المختلفون المذمومون، وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل. فهم يأخذون ما كان رخصةً من قول كل عالم مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

وعذر المجتهدين عند خطأهم مربوط ببذل الوسع وصلاح النية وهذا أمره إلى الله والأصل إحسان الظن بالمسلم وتلمس الأعذار له.

كما أن العذر للمجتهدين لا يلزم منه السكوت عن بيان الحق، بل لابد من بيانه؛ بحسب المقام والزمان. ولا بد من إقامة الحجج على الحق ولكن لا يكون هذا بالتشنيع على المخالف واتهامه، بل



يبين الحق بأوضح عبارة وأبلغ دليل وفق منهج أهل السنة الذين يطيعون الحق ويرحمون الخلق، والمقام مقام دعوة وبلاغ لا انتصار للذات ولا نصرة لحمية أو مذهب، فإن خالط النية شيء من ذلك كان هذا هو الداعي للافتراق وهو المثير لكثرة الاختلاف.

## حقيقة الاختلاف وأنواعه وحكم كل نوع

على المجتهد تحقيق موضع الاختلاف؛ فإنَّ نقل الخلاف في مسألةٍ ليس فيها اختلاف أو لا خلاف فيها خطأ. كما أن نقل الوفاق في موضع الخلاف لا يصح.

ولهذا يحسن أن نبين أنواع الاختلاف وحكم كل نوع:

الاختلاف إما أن يكون اختلافاً في العبارة؛ أي اختلاف تنوع، أو اختلاف تضاد وهذا الأخير هو الاختلاف الحقيقي.

الاختلاف في العبارة: أن يعبر كل من المختلفين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه. مثال ذلك تفسير ﴿الصراط المستقيم﴾ بأنه القرآن. وقال

بعضهم هو الإسلام، ومنهم من قال: بأن الصراط المستقيم هو السنة والجماعة. وكل هذا صحيح.

اختلاف التنوع: أن يذكر كل من المختلفين من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبية المستمع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه مثال ذلك: تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٢].

قال بعضهم السابق هو الذي يصلي أول الوقت، والمقتصد في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، وقيل: السابق المحسن بالصدقة، والمقتصد بالبيع، والظالم بأكل الربا.

واختلاف التنوع يقع في تفسير القرآن، وفي اختلاف العلماء في شرح السنة، وكذلك في فتاوى الأئمة وكلامهم في مسائل العلم - وهي أنواع - وإن سميت خلافاً إلا أنها ترجع إلى الوفاق.

واختلاف التضاد هو الذي تكون الأقوال فيه متضاربة ومتعارضة كخلاف أهل السنة مع أهل البدع في تفسير أسماء الله الحسنى أو في تكفير مرتكب الكبيرة فهذا كله خلاف تضاد تتعارض فيه الأقوال مع بعضها البعض.

## الحكم التكليفي للاختلاف بحسب أنواعه

أمور الدين التي يمكن أن يقع فيها الخلاف: إما أصول الدين أو فروعه. وكل منهما إما أن يثبت بالأدلة القاطعة، أو لا. فهذه أربعة أنواع:

**النوع الأول:** أصول الدين التي تثبت بالأدلة القاطعة كوجود الله تعالى، ووحدانيته وملائكته وكتبه والبعث بعد الموت ونحو ذلك، فهذه أمور لا خلاف فيها ولا مجال للاختلاف فيها مطلقاً. من أصاب الحق فيها فهو مصيب، ومن أخطأه فهو كافر بعد زوال موانع الكفر المعلومة.

**النوع الثاني:** بعض مسائل أصول الدين، مثل مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، والقول بخلق القرآن، وخروج الموحّدين من النار وما يشابه ذلك، فقليل: يكفّر المخالف، ومن القائلين بذلك

الشافعي، فمن أصحابه من حمّله على ظاهره ومنهم من حمّله على كفران النعم.

وشرط عدم التكفير أن يكون المخالف مصدقاً بما جاء به الرسول ﷺ والتكذيب المكفّر: أن ينفي وجود ما أخبر به الرسول ﷺ ويزعم أن ما قاله كذب محض أراد به صرف الناس عن شيء يريد.

النوع الثالث: الفروع المعلومة من الدين بالضرورة: كفريضة الصلوات الخمس، وحرمة الزنا فهذا ليس موضعاً للخلاف، ومن خالف فيه فقد كفر بعد زوال موانع الكفر المعلومة.

النوع الرابع: الفروع الاجتهادية التي قد تخفى أدلتها؛ فهذه الخلاف فيها واقع بين الأمة ويعذر المخالف فيها؛ لخباء الأدلة أو تعارضها أو الاختلاف في ثبوتها.

## أدلة جواز الاختلاف في المسائل الفرعية

أولاً: ما وقع من الصحابة في غزوة بني قريظة. روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يُصَلِّينَ أحدُ العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق. فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم<sup>(١)</sup>. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح»<sup>(٢)</sup>:

(١) «صحيح البخاري» (٤١١٩) كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، و«صحيح مسلم» (١٧٧٠) كتاب الجهاد: باب المبادرة بالغزو.

(٢) ٤١٠/٧.

«وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنّف أحداً من الطائفتين فلو كان هناك إثم لعنّف من أثم».

ثانياً: اتفاق الصحابة - في مسائل تنازعوا فيها - على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم. كمسائل العبادات والنكاح والموارث والعطاء والسياسة وغير ذلك.



## حكم الاختلاف فيما لا فائدة فيه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :  
 «قد يقع الاختلاف في ألفاظ من تفسير القرآن بما  
 لا مستند له من النقل عن رسول الله ﷺ. أو بنقل لا  
 يمكن تمييز الصحيح منه من الضعيف، ودون  
 استدلال مستقيم وهذا النوع من الاختلاف لا فائدة  
 من البحث عنه، والكلام فيه من فضول الكلام.  
 وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله  
 نصب على الحق فيه دليلاً.

فمثال ما لا فائدة فيه: اختلافهم في أصحاب  
 الكهف، ومقدار سفينة نوح، ونحو ذلك، فهذه  
 الأمور طريق العلم بها النقل» أ.هـ.

## أقسام الاختلاف من حيث الدوافع

### ١ - خلاف أملاه الهوى :

قد يكون الخلاف وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتي أو أمر شخصي. وقد يكون الدافع للخلاف رغبة التظاهر بالفهم أو العلم أو الفقه وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل أشكاله ومختلف صورته لأن حظ الهوى فيه غالب، والهوى لا يأتي بخير. قال تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة ص، الآية :

. [٢٦]

وبالهوى ضل وانحرف الضالون : قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام،

الآية : [١١٩].

وأنواع الهوى متعددة ومسالكة وعرة وموارده متشعبة وترجع في مجموعها إلى: هوى النفس وحب الذات والأنانية والأثرة. ولذلك سمي أهل البدع: أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك. قدّموا ضلالات الفلاسفة وترّهات المتكلمين فضلوا وأضلوا عن سبيل الله وصراطه المستقيم ولبس عليهم الشيطان أمر دينهم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٢) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٣) [سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى:

«إن هذه الآية تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم؛ لأنها نزلت في هؤلاء على

الخصوص، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطيء وعمله مردود».

ولكن الله - جلَّت قدرته - شاء وسط هذا الخضم من التفرق والافتراق والزيغ عن الصراط المستقيم - أن يقيض لدينه الحق من يحقق إرادة الله السابقة بحفظ هذا الدين فيقوم به بعد رسول الله ﷺ خير قيام؛ إذ قام صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأمر خير قيام، وكان التابعون من بعدهم خير خلف لخير سلف فحملوا هم بدورهم أمانة هذا الدين لمن بعدهم من أئمة السنة، ومن سار على دربهم واهتدى بهديهم، غير مبالين بمخالفة المخالفين وبتخذيّل المخذّلين من أهل الأهواء والبدع والضلالات على مر العصور وتلاحق الأجيال فله الحمد والمنة.

## ٢ - خلاف أملاه الحق:

قد يقع الخلاف دون أن يكون للنفس فيه حظٌّ أو للهوى عليه سلطان، فهذا خلافٌ فرضه الإيمان واقتضاه العقل. فمخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والشرك والنفاق خلاف واجب. وكذلك اختلاف المسلم مع أهل العقائد الكافرة والملحدة كاليهودية والنصرانية والوثنية والشيوعية... إلخ.

فالاختلاف مع أشباه هؤلاء واجب ولا يمكن لمؤمن مسلم أن يتخلى عنه أو يدعو لإزالته لأنه خلاف سدها الإيمان ولحمته الحق.

## ٣ - خلاف يتردد بين المدح والذم:

ولا يتمحض لأحدهما وهو خلاف في أمور فرعية تتردد أحكامها بين احتمالات متعددة يترجح بعضها على بعضها الآخر. ومن أمثلة ذلك:

اختلاف العلماء في انتقاض الوضوء من الدم الخارج من الجرح، والقيء المتعمد. وكاختلافهم

في حكم القراءة خلف الإمام، وقراءة البسمة قبل الفاتحة، والجهر بآمين وغير ذلك من أمثلة تضيق عن الحصر، وهذا النوع من الاختلاف مزلة الأقدام؛ إذ يمكن فيه أن يلتبس الهوى بالتقوى والراجع بالمرجوح والمردود بالمقبول.

ولا سبيل إلى تحاشي الوقوع في تلك المزالق إلا باتباع قواعد يحتكم إليها في الاختلاف وضوابط تنظمه وآداب تهيمن عليه، وإلا تحول إلى شقاق وتنازع، وهبط المختلفان فيه إلى درك الهوى وسادت الفوضى وذر الشيطان قرنه.

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله -:

«وبين الأئمة اختلاف كثير في الفروع، وبعض الأصول، وللقليل منهم غلطات وزلقات ومفردات منكرة. وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صواباً، ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب والسنة وكلما خالفوا فيه لقياس أو تأويل،... وما زال الاختلاف بين

الأئمة واقعاً في الفروع وبعض الأصول مع اتفاق الكل على تعظيم الباري جل جلاله، وأنه ليس كمثل شيء وأن ما شرعه رسوله ﷺ وأن كتابهم واحد ونبئهم واحد وقبلتهم واحدة وإنما وضعت المناظرة لكشف الحق وإفادة العالم الأذكي لمن دونه وتنبية الأغفل الأضعف. فإذا وجد النص الصحيح الصريح فلا مجال لمخالفته سواء كان متواتراً أم آحاداً».

## أسباب الاختلاف

أسباب الاختلاف كثيرة ومتنوعة، منها ما هو معقول كالأسباب التي أدت إلى اختلاف الصحابة، ومن بعدهم من علماء السلف. وهذا الخلاف قد وقع كثيراً في الأمة، ولا بد أن يقع في أمور تستجد ويجهتد لمعرفة أحكامها. وهنا لا بد من وضع ضوابط للقضاء على آثار هذا الاختلاف الذي يجب أن لا يتعدى الرأي والاجتهاد. وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أهم الأسباب<sup>(١)</sup> التي أدت إلى اختلاف السلف في بعض المسائل في الآتي:

(١) وذلك في كتابه القيم: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».



١ - عدم اعتقاد بعضهم أن النبي ﷺ قال ذلك الحديث.

٢ - عدم اعتقاد بعضهم إرادة تلك المسألة بذلك القول.

٣ - اعتقاد البعض أن ذلك الحكم منسوخ.  
وهذه الأسباب الثلاثة تتفرع عنها عدة أسباب أُخر هي التي نتج منها الاختلاف السائغ الذي حدث بين الأئمة الأجلاء ومن سار على نهجهم واتبع سبيل المؤمنين.

ومن أسباب الاختلاف ما هو مرفوض غير معقول ولا مقبول عقلاً ولا شرعاً، كاختلاف أصحاب الأهواء والبدع لأئمة المذاهب وغيرهم، وهو تعصب قائم على اتباع الهوى والجهل بالأصول والقواعد التي وضعها أئمة المذاهب وغيرهم، والجهل من قبل بقواعد الدين وأصوله، والتأويلات الباطلة التي لا تقوم على قول ولا تعتمد على حجة

من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا إجماع .  
ومن أسباب الاختلاف والافتراق في عصرنا  
الحاضر:

التخطيط الدقيق والتنظيم الخفي لأعداء الإسلام  
لَبَثَّ الفرقة بين المسلمين والتشكيك في مقومات  
الأمة الإسلامية من خلال الإثارة، وهؤلاء وأمثالهم  
ومن لَفَّ لَفَّهُمْ هم من أشد المعاول عملاً في الفتك  
بالمسلمين والكيد لهم وبث المباديء الزائفة والبدع  
والأهواء بينهم .

ومن ذلك أيضاً: بُعِدُ المسلمين عن الفهم  
الصحيح لأصول التشريع الإسلامي، والعقيدة  
الإسلامية الصحيحة بسبب الجهل بأحكام الشريعة،  
وهيمنة البدع والخرافات ودعاة الشعوذة والقبوريين،  
وأدعياء الولاية والوصول من الصوفية المبتدعة  
الذين شوهاوا شرائع الدين وزيفوا حقائقه، وحجبوا  
نور الإسلام الصحيح عن جَمٍّ غفير من المسلمين

البسطاء، وحالوا بينهم وبين منافع الإسلام النقية الصافية.

وهذا كله من أعظم عوامل تخلف المسلمين وتقهرهم واختلاف بعضهم على بعض.

ومن الأسباب التي أدت إلى اختلاف المسلمين شيعاً وأحزاباً متناحرة في زماننا «التشدد والتنطع المنهي عنهما وإيقاع المسلمين في العنت والخرج في أمور دينهم».

ليس بين أمة في الأرض الآن من التمزق، والتشتت ما بين أمتنا، وللأسف بسبب التشدد والتنطع والتعمق في الدين والتعصب الممقوت من البعض هداهم الله!!!

إن التشدد يقصد به التضييق على النفس، أو على الناس في الأحكام الشرعية، أو المواقف تجاه الآخرين، أو التعامل معهم بما لا تقتضيه قواعد الشرع ومقاصد الدين؛ لأن الدين مبني على الأخذ

بالأحكام الشرعية مع مراعاة التيسير ودفء المشقة والتوسيع والأخذ بالرخص في مواطنها، وإحسان الظن بالناس والإشفاق عليهم، ودرء الحدود بالشبهات، والنصح لعامة المسلمين وخاصتهم والعفو عن المسيء والتماس العذر له في غير حدود الله تعالى.

ومن علامات التشدد التسرع في إطلاق الأحكام والإكثار من التكفير بما يخرج من سمت العلماء وحكمهم ورأيهم.

ومن الأسباب الكبرى للاختلاف قديماً وحديثاً تأثير المسلمين بالأفكار والفلسفات الوافدة، والاعتماد على الفكر والثقافة والحركة بدعوى التجديد في الدين ومسايرة ركب الحضارة والمدنية، وهذا أمر خطير يهدد بنية الأصول الموروثة من هدي النبي ﷺ وأصحابه التابعين.

كذلك من أسباب الاختلاف ترك الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والقيام بواجب المناصحة لولاية الأمور والأئمة وذوي الشأن في الأمة ووقوع المداهنة في الدين وفي الحديث الصحيح: «ثلاث لا يَغْلُ عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط من ورائهم» [صحيح الترغيب والترهيب].

## أدب الاختلاف في عصر النبوة والصحابة والتابعين

سماته وآدابه:

إذا كان البشر متفاوتون في أمزجتهم وأفهامهم، فإن التقاءهم في ميادين الحياة قد يتولد عنه ضيق وانحراف إن لم يكن صدام وتباعداً.

ولذلك شرع الإسلام من المبادئ والتوجيهات ما يرد عوادي الانقسام والفتنة، وما يمسك قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة فنهى عن التقاطع والتدابير.

وهنا نذكر بعضاً من آداب الاختلاف الواردة في سيرة النبي ﷺ وسير الصحابة والتابعين.

١ - علاج البوادر قبل استفحالتها:

فقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه رضوان الله

عليهم أدباً هاماً من آداب الاختلاف في قراءة القرآن خاصة فيقول في الحديث الصحيح: «اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «فتح الباري»<sup>(٢)</sup>:

قوله: «فإذا اختلفتم» أي فهم معانيه «فقوموا عنه» أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر، قال عياض: يحتمل أن يكون النهي خاصاً بزمنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لئلا يكون ذلك سبباً لنزول ما يسوؤهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ ويحتمل

(١) «صحيح البخاري» (٥٠٦٠) كتاب فضائل القرآن: باب اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، و(٧٣٦٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب كراهية الاختلاف، و«صحيح مسلم» (٢٦٦٧) في العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.

(٢) ١٠٢-١٠١/٩

أن يكون المعنى اقرؤو والزمووا الائتلاف على ما دلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم»، ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته، ومثله ما تقدم عن ابن مسعود لما وقع بينه وبين الصحابين الآخرين الاختلاف في الأداء، فترافعوا إلى النبي ﷺ فقال: «كلكم محسن» أ.هـ.

وقد تيقظ الإسلام لبوادر الجفاء فلاحقها بالعلاج قبل أن تستفحل وتستحيل إلى عداوة فاجرة... روى البخاري في «صحيحه» بسنده عن النبي ﷺ قال:



«لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا  
وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر  
أخاه فوق ثلاث»<sup>(١)</sup>.

وهذا التوقيت «بالثلاث» فترة تهدأ فيها الحدة  
وينفثيء (يسكن) الغضب، ثم يكون لزاماً على  
المسلم بعده أن يواصل إخوانه وأن يعود معهم  
سيرته الأولى كأن القطيعة غيمةٌ ما إن تجمعت حتى  
هبّت عليها الريح فبددتها وصفا الأفق بعد عبوس  
ولم تبق في الأفئدة المؤمنة أثارة من ضغينة.

٢ - الرد سريعاً إلى الله والرسول ﷺ:

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يحاولون أن لا  
يختلفوا ما أمكن، وإذا وقع الاختلاف بينهم سارعوا

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٦٥) كتاب الأدب: باب ما ينهى عن  
التحاسد والتدابير، ورقم (٦٠٧٦) باب الهجرة، ورواه مسلم  
(٢٥٥٩) في البر والصلة: باب تحريم التحاسد والتباغض.

في رده إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل إن القرآن الكريم كان أحياناً يتولى التنبيه على أدب الاختلاف حين يقع بين الصحابة... روى البخاري في «صحيحه»<sup>(١)</sup> عن عبدالله بن الزبير قال: «كاد الخيّران أن يهلكا - أبوبكر وعمر رضي الله عنهما... رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم. فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر بالقعقاع بن معبد بن زرارة. فقال أبوبكر لعمر: ما أردت إلا خلافي قال عمر: ما أردت خلافاً. فارتفعت أصواتهما في ذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية.

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمعُ رسول الله

(١) رقم (٤٨٤٥) كتاب التفسير: باب ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ الآية.

ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه .

نعم: إن أصحاب الرسول ﷺ قد اختلفوا في أمور كثيرة في حياته ﷺ وبعد مماته، ولكن كان لاختلافهم أسباب وكانت له آداب، وكما اختلف الصحابة اختلف الأئمة من بعدهم من التابعين ومن جاء بعدهم في كثير من الأمور الاجتهادية، وهم جميعاً على الهدى مادام الاختلاف لم ينجم عن هوى أو شهوة أو رغبة في الشقاق والنماذج على ذلك ثرة والشواهد وفيرة: من ذلك:

اختلافهم في وفاته ﷺ في الخلافة بعده، اختلافهم في قتل مانعي الزكاة، وفي سبي أهل الردة، في قسمة الأراضي المفتوحة، واختلافهم في كثير من مسائل المواريث، والطلاق والعتاق والنكاح، بل وفي فروع جزئية من العبادات والمعاملات والحدود وغيرها، ولو حاولنا تتبع المسائل الخلافية بين الصحابة والتابعين وأرباب

المذاهب وسلوكهم في عرض مذاهبهم لضاق بنا الحصر، والمقام لا يتسع لأكثر من أن ننبه على أن الآداب التي تربي عليها ذاك الجيل لتدل على مدى التزامهم بأدب الاختلاف في الظروف كلها؛ فلم تنسهم الأحداث الجسام والفتن العظام مناقب أهل المناقب، ولا فضائل أهل الفضل منهم. وإذا كان هذا دأبهم وأدبهم عند الاختلاف فما ل هؤلاء الذين يجعلون من الاختلاف ذريعة للتسرع في وصف المخالفين بالخروج أو المفارقة، أو المروق عن الدين، وما يستتبع ذلك الاستعجال من الحكم على المخالفين دون رجوع إلى قواعد الشرع وأصول الحكم ومناهج أئمة الدين في ذلك؟ فليحذر كل مسلم هذا وليضع في وحدة أمته لبننة، لماذا نتوقع العصمة من البشر ونجعل الأخطاء القليلة التي تنسب إليهم جبلاً تنهدم فوق رؤوسهم وتأتي على ذكراهم، ما أحوجنا وإياهم إلى مغفرة الله!! وما

أحوج الإسلام بعد ذلك إلى جهاد أبنائه على اختلاف معادتهم ومنازعتهم في الذب عنه وردّ الذئاب الشرسة التي تغير عليه في هذا العصر.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد من عذر في تركه لعدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله، أو عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول، أو اعتقاده بأن الحكم منسوخ» أ.هـ<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص ٩٨) ط دار الإفتاء ١٤١٣هـ.

## الاتلاف ونبذ الخلاف سبيل النجاة وطريقنا إلى النصر

لو أننا ألقينا نظرة عابرة على ما يحدث في ديار الإسلام من فتوق وتصدعات ومجابهة وصلت إلى حد القتال الدامي، والصراع الذي لا يتعفف عن إزهاق الأرواح وإهدار الأموال، فضلاً عن استباحة الضمائر والأفكار والعقول في بعض بلدان الإسلام لوجدنا بل لأيقنا أن أعداءنا يعملون بليل وأن قوى التحالف الثلاثي المشثوم الصليبية، واليهودية، والشيعوية، وكذا أهل البدع والخرافات تعمل بتنسيق وتوافق عجيب على الرغم من مزاعم التناقض والخلاف بينها - لكن ما حدث هو أنها اجتمعت - وربما لأول مرة صفاً واحداً في مواجهة الإسلام.

نعم: إنهم ينطلقون من أرضية واحدة متجهين إلى هدف واحد ألا وهو ضرب الإسلام واجتثاث دعوته من الجذور... إذا ما هو موقفنا نحن المسلمين إزاء هذه الحرب الشرسة التي تتحالف فيها ضدنا قوى البغي الثلاثة؟ ما الذي ينبغي أن نفعله؟ هل سنظل سادرين عن الخطر غير مقدرين عواقبه الوخيمة فيما لو تركناه يستفحل ويستشري ويتفاقم؟ ما الذي سنفعله للدفاع عن ديننا ووجودنا ومقدراتنا؟...

بعد أن اتضح بما لا يقبل الشك أو الجدل أن أعداءنا عازمون هذه المرة على تصفية الحسابات القديمة والجديدة وخوض المعركة الفاصلة ضدنا، لاعتقادهم بأننا إذا ما اجتزنا هذا الامتحان الصعب، فإن أبواب المستقبل ستفتح للإسلام كما انفتحت في بداية انطلاقته قبل أربعة عشر قرناً، ومن هنا تتجلى جسامه المسؤولية وتبرز أهمية وخطورة الموقف،

وما لابد أن نقوم به في مواجهة ما يراد بنا، ولنا على أرضنا، وفي كل مكان، لابد أن ندرك المخاطر الهائلة والتحديات الخطيرة والخطط الماكرة التي يعدها أعداء الإسلام للقضاء على الطليعة المؤمنة التي تحمل لواء هذه الدعوة المباركة.

وفي تصوري أن سبيلنا إلى النجاة وطريقنا إلى النصر يكون بالعوامل الآتية:

أ - الاعتصام بالكتاب والسنة: وهذا هو المحور المحرك والعنصر الفعال لعوامل النصر والبقاء والثبات.

نعم: الكتاب والسنة هما الطريق المستقيم وهما طرفا السلامة والنجاة وهما أصل الأصول الذي ميز أهل السنة والجماعة على مر العصور وتلاحق الأجيال... لقد كان تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وإجماع سلفهم من الصحابة والتابعين عاصماً - بفضل الله - من التفرق والاختلاف



وتضارب العقول والأهواء .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، وعن زيد بن الأرقم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما: كتاب الله وسنتي» رواه الحاكم<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ»<sup>(٢)</sup> .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين والسابقين الأولين من

(١) المستدرک ١/ ٩٣ وسنده حسن .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧) في السنة: باب لزوم السنة، والترمذي (٢٦٧٨) كتاب العلم: باب ١٦، وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، ورواه أحمد في (المسند) ٤/ ١٢٦،

المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؛ فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن، وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى.

والواجب أمر العامة بما ثبت بالنص والإجماع ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى - في قوله -: ﴿فَإِنْ نَنزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وكانوا يتناظرون في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة

الدين» أ.هـ.

ب - بعث روح الأخوة وتوحيد صفوفها: وذلك بيث العلم والعقيدة الواحدة تلك العقيدة الصحيحة الدافعة التي تجمع المسلمين ولا تفرقهم، وتوحدهم ولا تشتتهم، وهي عقيدة السلف التي جمع الرسول ﷺ أصحابه عليها وعلمهم إياها، ووضع التشريع الإسلامي موضع التنفيذ، وبناء الخلق الكامل في رجال أمتنا ونسائها وتصحيح المفاهيم والمنطلقات وإعادة بناء العلاقات على أسس الإخاء والبذل والعطاء والفاعلية الإسلامية.

وكما قال الإمام مالك - رحمه الله - : «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، وأبلغ منه قوله عليه الصلاة والسلام لما أخبر عن تفرق هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة كما تفرقت الأمم قبلها، قال ﷺ: «كلهم في النار إلا واحدة» قالوا: من هي يارسول الله؟ قال: «ما أنا عليه

وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

ج - الالتفات حول علماء الأمة الأئمة المهتدين، الذين تثق الأمة في دينهم وعلمهم وأمانتهم، وحفظ مراتبهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه...  
والحذر الحذر من التعالي عليهم أو الشذوذ عنهم بأي نوع من أنواع الشذوذ التي تؤدي إلى الفتنة والمفارقة؛ فالعلماء هم الضمانة المهمة لصيانة وحدة الأمة. قال الله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٤٣</sup>.

د - إن الخلاف لا يحل بالعصي ولا بالسفاهة ولا بالتناول على الأبرياء، وإنما يحل بالتعاون على البر

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) في الإيمان: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة وفي سنده عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف كما قال الحافظ في «التقريب» لكن للحديث شواهد يعترض بها.

والتقوى والتماس العذر للمخالف إذا كان أهلاً للبحث والاجتهاد، وكل من يرى من أحد خطأ فعليه أن يهديه ويرشده وينصحه لا أن يعنفه ويسفهه ويؤذيه وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة؛ إنهم يعملون دائماً في إطار من الاجتماع والتآلف ومحبة الخير لكل المسلمين، والعفو والتجاوز عن إساءة المسيء، وخطأ المخطيء، ودعوته إلى الصواب، والدعاء له بالهداية والرشاد والمغفرة. وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين. فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف... وإني لا أحب أن يؤذى أحد من

عموم المسلمين بشيء أصلاً لا باطناً ولا ظاهراً؛ فإنه لا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً أو مخطئاً أو مذنباً. فالأول: مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له. والثالث: فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين. وتعلمون أننا جميعاً متعاونين على البر والتقوى واجب علينا نصره بعضنا البعض... وهذا التفريق الذي حصل من الأمة: علمائها ومشايخها وكبرائها هو الذي أوجب تسليط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب» .هـ.

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب العقيدة المشهورة - رحمه الله - موضحاً ما عليه أهل السنة

والجماعة: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً»<sup>(١)</sup>.

هـ - إن التعاون لا التنافر، والتآلف لا التخالف، والتواصل لا التقاطع أساس العلائق بين البشر، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

فكل رابطة توطن هذا التعارف وتزيح من طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها والانتفاع بخصائصها حتى يحيا المسلمون وكأنهم أغصان انبعثت من دوحة واحدة. لهذا يجب أن تبذل جهود مخلصة في ردم الفجوات التي تفصل بين الشباب المسلم فإن الأمر مفرع أن يشجر الخلاف بين

(١) انظر: «العقيدة الطحاوية» مع شرحها لابن العز الحنفي (ص ٧٧٥). ط مؤسسة الرسالة.

المسلمين الآن وأعداؤهم - كما أسلفت - يعدون لهم الضربة القاضية بعد ضربات سبقت أوهت صفوفهم وشعبت أهواءهم.

فلتعاون إخوة الإسلام على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان والاختلاف، ولنكن دعاة خير وإصلاح ونحقق مدلول الإسلام في أنفسنا وأسرنا وبين قومنا وأهلينا وبلادنا، ولنتبادل التقدير والاحترام فيما بيننا كي يسود الأمن والأمان وتحصل الراحة والاطمئنان، ونوحد أمرنا ونجمع شملنا ونلم شعنا ونجمع صفوفنا ونوحد كلمتنا ونتحد فيما بيننا لنحفظ إسلامنا من الاعتداء والطغيان.



## خطوات عملية للتعامل مع الخلاف

بما أن الاختلاف سنة الله في خلقه نتيجة لاختلاف الأفهام وتفاوت الإدراك ومحدوديته، فإنه لا بد من بيان خطوات عملية للتعامل معه وقد بذلت جهدي في أن أضع شيئاً من هذه الخطوات التي يجب التنبه له عند الاختلاف:

عند وجود المخالف لا بد من دراسة المسألة الخلافية من خلال النصوص الشرعية مجتمعة لا منفردة، فيحدد مدى هذا الخلاف وفيما هو، ثم يقرر كيفية التعامل معه.

فإن كان الخلاف في مسألة معلومة من الدين بالضرورة فلا بد مما يلي:

\* بيان الحق في المسألة بالأدلة الواضحة والداخضة، مع عدم اتخاذ أسلوب الهجوم على

المخالف، وأن يترك له خط رجعة يمكنه من التراجع عن الخطأ من غير أن يلحقه أذى نفسي، لأن النفس البشرية ترغب في الكمال ويصعب عليها الاعتراف بالخطأ سيما أمام ملاء من الناس، ولهذا يبين الحق للمخالف بخصوصه بداية مع تقرير المسألة على الملاء من دون تعيين المخالف.

تقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا»<sup>(١)</sup>. ومن ذلك إرشاد النبي ﷺ لمعاوية بن جاهمة السلمي لما تكلم في الصلاة، يقول معاوية: «فأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا معلماً بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كرهني، ولا

(١) رواه أبو داود (٤٧٨٨) في الأدب: باب في حسن العشرة. وسنده صحيح.

ضربني، ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

\* لا بد من التأكد من كون المسألة معلومة من الدين بالضرورة، لأن استقرار رجوح مسألة في الذهن لدى الإنسان يجعله يتحمس لها ويعطيها أكبر من حجمها، ومن ذلك اجتهاد من يرى عدم جواز دخول الانتخابات البرلمانية فقد يتشدد ويعتبر هذا الموضوع معلوماً من الدين بالضرورة، ويعادي المخالف، وقد يتأول أن هذا نوع من الولاء لغير المسلم - أي دخول الانتخابات - والمسألة فيها سعة وليست بهذا الضيق الاجتهادي.

(١) رواه مسلم (٥٣٧) في المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.

\* ثم يحدد هل هذا المخالف خارج من الملة أو هو من أهل القبلة؟ فإن كان المخالف كافراً فلا بد من معاملته معاملة غير المسلم من:

- دعوة: إذ لا بد من تقديم خطاب الدعوة لكل كافر.

- براءة منهم في وقتها المناسب.

وإن كان المخالف غير كافر وهذا يشمل مخالفين في الأخبار والمطالب، ومن هؤلاء الأشاعرة، والشيعة من غير الغلاة، والزيدية، والمتصوفة غير الغلاة، فهذا له حقوق المسلم العامة لكونه من أهل القبلة، وهؤلاء متفاوتين قرباً وبعداً من أهل السنة بحسب قربهم من السنة أو بعدهم عنها، فليس الخلاف مع مرجئة أهل السنة كمثل الخلاف مع المرجئة الحقيقيون، وليس الخلاف مع الأشاعرة كالخلاف مع الجهمية الغلاة وهكذا.

وهذا الخلاف في ما علم من الدين بالضرورة قد

لا يقتضي الكفر لوجود خفاء في العلم، أو تأويل  
 صرف حكم الكفر، وذلك لأن المخالف معه أصول  
 الإيمان ولم يقدح في القرآن ومتواتر الأخبار، فيضل  
 على إسلامه مع بدعية ما جاء به والحكم عليه بأنه  
 زيغ وضلال.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومما ينبغي  
 أيضاً أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في  
 أصول الدين والكلام على درجات، منهم من يكون  
 قد خالف السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون  
 إنما خالف السنة في أمور دقيقة.

ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين  
 هم أبعد عن السنة منه؛ فيكون محموداً فيما رده من  
 الباطل وقاله من الحق؛ لكن يكون قد جاوز العدل  
 في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض  
 الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها؛  
 ورد بالباطل باطلاً بباطل أخف منه، وهذه حال أكثر

أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة .  
ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً  
يفارقون به جماعة المسلمين؛ يوالون عليه  
ويعادون؛ كان من نوع الخطأ. والله سبحانه وتعالى  
يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك.

ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة  
وأئمتها: لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف  
ما ثبت في الكتاب والسنة؛ بخلاف من والى موافقة  
وعادى مخالفة وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر  
وفسّق مخالفه دون موافقة في مسائل الآراء  
والاجتهادات؛ واستحل قتال مخالفه دون موافقة  
فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات» أ.هـ.

أما إن كان الخلاف في غير المعلوم من الدين  
بالضرورة فهو أيسر وأهون وهنا ينبغي التذكر:  
\* أن الهوى الخفي قد يحول بين المرء والحق  
في حين يظن أنه صالح السريرة، ومقياس التجرد

- والله أعلم - هو ما قاله الشافعي عن نفسه: أنه ما ناظر أحداً إلا تمنى أن يظهر الله الحق على لسانه . فليس همه أن يظهر الحق على لسانه هو، بل همه أن يظهر الحق ولو على لسان مخالفه، وذلك لعلو همته وصفاء سريرته - رحمه الله - .

وهذه المرتبة عزيزة جداً، وعلى كلِّ المؤمن لا تكون فكرته ومقصده إلا رضى الله وتجنب سخطه والعاقبة له ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup> .

\* إن هذا الخلاف غير موجب للافتراق والتنازع بل ما يحرم هو جعله سبيلاً لذلك، وحيلة الشيطان في هذا أن يضحّم هذا الخلاف، وأن يجعل بيان الحق في هذه المسألة أمراً لازماً بل وواجباً من ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا بد منه، فينساق الداعية وطالب العلم ويتحمس ثم يقع

(١) الفتاوى ج٣/ ٢٣٣ .

في سب المخالف أو الجرح فيه وفي علمه ونيته، فيجعل نتيجة هذا الاختلاف افتراقاً وهذا هو المنكر الحقيقي، ولو تذكرنا قصة اختلاف الصحابة في صلاة العصر في الطريق إلى بني قريظة لرأينا أنه مع عظم أمر الصلاة وحرمة تأخيرها عن وقتها إلا أن هذا لم يؤد إلى التنازع والافتراق.

\* اعتبار هذا الخلاف موجباً للإثم للمخالف وهذا ديدن أهل البدع لا أهل السنة، فأهل السنة يرحم بعضهم بعضاً بل ويرحمون المخالف لهم، وأهل البدعة يكفر بعضهم بعضاً، فليس كل خطأ موجب للإثم لأن الله غفر للناس ثلاثة أشياء: الخطأ وما استكروهوا عليه والنسيان، فكيف يكون الأمر كذلك ويعتبر كل خطأ إثماً تترتب عليه العقوبة مع صراحة نصوص الشارع أن المجتهد مثاب ولو أخطأ بشرط وجود قدرة عنده على الاجتهاد مع توافر الآلة وسلامة القصد.



وهذا يوجب تخفيفاً من شأن هذا الخلاف وعدم تصعيد له ليوجب الفرقة، يقول شيخ الإسلام: «وهذه حال أهل البدع يتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله فيتبعون الحق ويرحمون الخلق»<sup>(١)</sup>.

\* النظر في أدلة المخالف ومحاورته وفق شروط الحوار وآدابه المعروفة أمر مطلوب وواجب شرعي لكل باحث عن الحق، فالمسلم باحث عن الحق ولا يدفعه كبر واستعلاء إلى عدم سماع حجج المخالفين بل عليه أن يستمع لهم بحثاً عن مزيد علم وحكمة فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

وأخيراً اعلم أخي المسلم أنك مأمور بالعدل الذي لا بد منه مع المخالف ولو جار، ذلك أنك ما

جزيت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ﴿ إِنَّ  
 اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل،  
 الآية: ١٢٨] (١).

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. صالح بن غانم السدلان

السادس من رجب الحرام لعام ١٤١٤ هـ

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة .....	٣
معنى الائتلاف والاختلاف .....	١١
معنى الائتلاف .....	١١
معنى الاختلاف .....	١١
الألفاظ ذات الصلة .....	١٢
الخلاف .....	١٢
الافتراق والتفرق والفرقة .....	١٢
حض الإسلام على الوحدة والجماعة والائتلاف .	١٥
- الأحاديث التي تدم الاختلاف وتحض على الاجتماع والائتلاف .....	٢٣
- بعض الآثار التي تدم الخلاف وتحض على التآلف والتعاقد .....	٢٩

- ٣٤ ..... اختلاف الأفهام وتوارد الخواطر
- ٤٢ ..... حقيقة الاختلاف وأنواعه وحكم كل نوع
- ٤٥ ..... الحكم التكليفي للاختلاف بحسب أنواعه
- ٤٧ ..... أدلة جواز الاختلاف في المسائل الفرعية
- ٤٩ ..... حكم الاختلاف فيما لا فائدة فيه
- ٥٠ ..... أقسام الاختلاف من حيث الدوافع
- ٥٠ ..... ١ - خلاف أملاه الهوى
- ٥٣ ..... ٢ - خلاف أملاه الحق
- ٥٣ ..... ٣ - خلاف يتردد بين المدح والذم
- ٥٦ ..... أسباب الاختلاف:
- أدب الاختلاف في عصر النبوة والصحابة والتابعين، سماته، وآدابه ..... ٦٢
- الاثتلاف ونبذ الخلاف سبيل النجاة وطريقنا إلى النصر ..... ٧٠
- خطوات عملية للتعامل مع الخلاف ..... ٨١
- الفهرس ..... ٩١

## من إصدارات دار بلنسية

- ذكر وتذكير/ د. صالح السدلان ..... ٤ ر.س
- مشاهد الاحتضار/ خالد الشايح ..... ٣ ر.س
- امرأة تهفو إلى مثلها القلوب/ خالد الشايح ..... ٣ ر.س
- المسجد ودوره في التربية والتوجيه/ د. صالح السدلان ..... ١٠ ر.س
- وبالوالدين إحساناً/ سعاد فرج ..... ٣ ر.س
- البيت السعيد/ الدكتور صالح بن حميد ..... ٢ ر.س
- مقاصد أهل الحسبة/ خالد الشايح ..... ٨ ر.س
- النشور/ الدكتور صالح السدلان ..... ٦ ر.س
- طهارة بيت النبوة/ خالد الشايح ..... ٨ ر.س
- البلوغ والمراهقة لدى البنات/ د. فريال الأستاذ ..... ٣ ر.س
- من هنا نبداً/ عبدالمحسن بن عبدالرحمن ..... ٢ ر.س
- الفرقان بين الهدى والضلال/ خالد الحسن ..... ٣ ر.س
- أحوال الناس بعد الموت/ خالد الشايح ..... ٣ ر.س
- أسباب تحقيق العفاف/ خالد الشايح ..... ٣ ر.س
- موعظة القلوب في البكاء من خشية علام الغيوب/ وليد العباد ..... ٢ ر.س
- نقض افتراءات المؤرخين والنقاد/
- حول شخصية حسان بن ثابت أحمد مسفر العتيبي ..... ١٠ ر.س
- توجيهات للفتيات حول فتي الأحلام/ سعاد فرج ..... ٢ ر.س

- دموع وعبرات على شفير
- قبر امرأة صالحة / خالد الشايع ..... ٢ ر.س
- قصات الشعر / إبراهيم السريبي ..... ٢ ر.س
- ياليت قومي يعلمون / عبدالمحسن بن عبدالرحمن ..... ٢ ر.س
- أحكام الوقف والوصية / د. صالح السدلان ..... ٢ ر.س
- الرهص والوقف لمستحل الرقص / د. صالح السدلان ..... ر.س
- المخدرات / د. صالح السدلان ..... ١٠ ر.س
- الرد على من قال بفناء الجنة والنار
- / ابن تيمية، تحقيق د. محمد السميري ..... ١٢ ر.س